موقف الشيخ أبي الحسن الندوي من الأفكار المعاصرة

(أعمال المؤتمر الدولي حول "موقف الشيخ الندوي من الأفكار المعاصرة دراسة مقارنة"
المنعقد في ٢١-٢٣ ربيع الثاني ١٤٣٥هـ الموافق ٢٢-٢٤ من فبراير ٢٠١٤م
في رحاب مدرسة العلوم الإسلامية عليكره، الهند)

إعداد وتنسيق

د. محمد طارق الأيوبي الندوي

ملتزم النشر والتوزيع
مؤسسة العلامة أبي الحسن علي الندوي التعليمية والخيرية، عليكره، الهند

موقف الشيخ أبي الحسن الندوي من الأفكار المعاصرة

(أعمال المؤتمر الدولي حول "موقف الشيخ الندوي من الأفكار المعاصرة دراسة مقارنة"
المنعقد في ٢٣-٢١ ربيع الثاني ١٤٣٥هـ الموافق ٢٢-٢٤ من فبراير ٢٠١٤م
في رحاب مدرسة العلوم الإسلامية عليكره، الهند)

إعداد وتنسيق
د. محمد طارق الأيوبي الندوي

ملتزم النشر والتوزيع
مؤسسة العلامة أبي الحسن علي الندوي التعليمية والخيرية، عليكره، الهند

جميع الحقوق محفوظة
لمؤسسة العلامة أبي الحسن الندوي التعليمية والخيرية
الطبعة الأولى فبراير 2014م

إسم الكتاب	:	موقف الشيخ الندوي من الأفكار المعاصرة
إعداد وتنسيق	:	د. محمد طارق الأيوبي الندوي
الطباعة والتصميم	:	عبد الرحمن نعيم
عدد الصفحات	:	٧١٢
عدد النسخ	:	١٠٠٠
المطبع	:	مطبع نعماني بلكناؤ، الهند

Rs. 400/- INR

Dr. M. Tariq Ayubi Nadwi
Email-tariqnadwialig@yahoo.co.in
+919897776652,+919045794046

ملتزم النشر والتوزيع
مؤسسة العلامة أبي الحسن علي الندوي التعلمية والخيرية، عليكره، الهند

يطلب من:

١ـ دار الكتاب عليكره، الهند +919997665211

٢ـ مكتبة الشباب العلمية، لكناؤ، الهند +919696437283

الإهداء

إلى

أمة الدعوة التي تحتاج اليوم إلى داعية يدرك اسباب
تدهورها وينتصر على آلامها ويجمع كلمتها ويهديها
إلى سبيل العزة والكرامة أمثال هؤلاء الذين قضوا نحبهم
وأدوا أمانتهم حسب المستطاع ومنهم شيخنا العلامة
ابو الحسن الندوي رحمه الله۔

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المنسق

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين!

ابو الحسن الندوی عبقرية القرن العشرين، ومجدد هذا الدين، وشيخ الأمة ولسانها الناطق بالحق، وهو رجل المواقف العظام دفاعا عن قضايا الأمة الأسلامية وصاحب مواقف جريئة وشجاعة جعلته من طليعة رواد المسلمين ومفكريهم في هذا العصر، وهو الداعية الفقيه، الأديب المتأدب بل عميد الأدب الإسلامی، صاحب الطراز الخاص والأسلوب الفريد، إنه رجل قرآنی وأسد ربانی حسب تعبير بعض المفكرين، ولما رحل شيخنا فی أواخر ديسمبر سنة ألف وتسع مأة وتسع وتسعين قال بعض العلماء: أن "اكتمل عام الحزن" والآن حين نقوم بذكریٰ سماحته عن طريق أفكاره فقد اكتمل عليه قرن اذ أنه ولد فی يناير 5 ديسمبر 1913،

وكان رحمه الله يتخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم مثل الرحمة والعفو والصفح واللين فيما بين المسلمين والشدة والغلظة ضد الباطل والطواغيت والجمع بين شعب الإسلام، فإنه يؤمن بأن الإسلام دين يشمل جميع جوانب الحياة وإنه يؤمن بحيويته وقدرته على التجديد والإصلاح والتغيير، إنه يؤمن بجانبه القيادي والسياسي والاقتصادي والعملي، وفی كل من هذه المجالات له جولات وصولات، قضى حياته فی خدمة الإسلام والمسلمين وجعل هدفه ما قاله الصديق الأكبر رضى الله عنه "أينقص الدين وأنا حي" وعمل طول حياته بوصية سيدنا إبراهيم "ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" ولبّى دعوة ربه إلى التفكير الذي كان يشغل ذهن سيدنا يعقوب عليه السلام عند وفاته "ما تعبدون من بعدي" وكان رحمه الله نسيج وحده فی الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وفاق أقرانه فی الجمع بين العلم والأدب والأساليب العلمية والأدبية مع الدعوة إلى الله، والجمع بين السلوك والسياسة والقيادة والإصلاح، إن سماحته قضى نحبه وأوفى بعهده مع الله ورسوله وشريعته بالإخلاص الكامل، لقد شهد الزمان وشهد الناس أنه كان من أتقى العلماء وأخلصهم، وأبعدهم عن المادية والحرص على الثروة والشهرة والمناصب، ومن أرغبهم فی السذاجة والتقشف، ومن أزهدِهم فی الدنيا مع جلالة شأنه العلمي والعملي والديني، ومن أكثرهم تفكيرا وخوضا فی قيادة العالم الإسلامي وإصلاح المجتمع البشري ------------ فيا شيخنا أبا الحسن فقيد الملة الإسلامية كم نفقدك فی هذه الأيام التی ضاع فيها الوفاء والإخلاص وعم التهالک على الثروات والمناصب وبقينا بمآتم على فقدان القيادة الإسلامية المخلصة المؤمنة المعتدلة الرحيمة فی موقفها من المسلمين والجبارة

القاهرة فى وقوفها أمام الطواغيت والقوى الباطلة الهدامة الهاجمة على الإسلام والمسلمين-----------لقد صدق من قال وجزاه الله على هذا القول الصادق:

كم نحن يا شيخ الدعاة بحاجة لك في زمان ضاع فيه وفاء
وغدا غريبا دين اشرف امة من بعد أن حاقت به الارزاء
حتى له أبناءه قد حاربوا وكأنهم عن دينهم غرباء
قد كنت دوما للحقيقة ناشدا ماشاب سعيک ريبة ورياء

نعم! إنه أبو الحسن الندوي---الدا عية المخلص والمفكر العظيم ،اختار موقف الداعية وقام بدعوته للرجوع إلى الإسلام من جديد، له رحلات عديدة وجولات غراء من أقصى الأرض إلى أقصاها وأعمال ضخمة وكتب قيمة وخطب فكرية تحمل نعرة واحدة "شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد"

نعم! إنه أبو الحسن الندوى رحمه الله، له موقف واضح من الأدب والتعليم ونقد الحضارات، انه يؤمن باختيار الأسباب مع توكله الكامل على القدر المقدور فى النتائج ، كان يقول: "إن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ،وإن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ويحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم"وكان عنده شعور مرهف بأهمية تربية الطلاب فى الجامعات العصرية تربية فكرية دينية قرآنية، والملحوظ أنه أنكر الثنوية فى التعليم، وفى أغلب الظن هو أول مفكر هتف قائلا: إنه لا مجال فى هذا الدين للقسمة والتفريق والثنوية فى العلم، أشار بصراحة ولفت أنظار الأمراء وأصحاب التعليم إلى أن أكبر سبب للفساد الموجود فى المجتمعات المسلمة هو السقم والنقص في النظام التعليمي وتغريبه وتقليد النظام التعليمى الغربي بأسره والاعتقاد أنه النظام التعليمي الناجح فحسب،هذا وإنه شعر بحاجة ماسة إلى حصول طلاب العلم على الأدب والبيان واللغة ، فقام بإعداد المقررات الدراسية للناشئين والأطفال التي تولد ملكة أدبية لدى الطلاب مع تزويدهم بالخلق الإسلامية والعقائد الصحيحة والتربية الفكرية، وأسس رابطة أدبية لإسلامية الأدب ومواجهة الأفكار الهدامة التى تدخل فى القلوب عن طريق الروايات والمسرحيات والقصص القصيرة ،ولقد أكد شيخنا الندوى أنه ينبغى للدعاة والعلماء والمصلحين أن يزودوا أنفسهم باللغات ويعرفوا أهمية اللغة والبيان ،ولقد أثبت سماحته قوله بعمله من خطابته وكتابته بأسلوب رائع مؤثر بليغ-

إنه رأى سيطرة الحضارة الفربية وقوانينها على المجتمع والمعيشة والتعليم ،فلم يدع إلى ردها بأسرها ورفضها بكاملها مثل من لا يعرف الفرق بين الطيب والخبيث ولا يستطيع الفرق بين الحسن والقبيح ومثل من لا يستطيع النظر إلى النور لفقدان بصارته فيهتف الظلام--الظلام وما

استقبلها مثل من يحتفى بكل جديد ويعيب كل قديم، يرحب كل ما كان حديثا ويهجو كل ما كان عتيقاً، بل وقف موقف التحليل والتدقيق وموقف الحكيم الذى يأخذ كل ما صفا ويترك كل ما كدر.

نعم! إنه أبو الحسن الندوى ــ له منهج تحليليّ وأسلوب حكيم فى عرض الدعوة الإسلامية، إنه يومن بالتصلب فى الدين والاعتدال فى العمل به، يؤمن بالوسطية فى الخلافات الفروعية والمناهج المختلفة للعمل فى الحياة البشرية ولكنه لا يصالح أبدا ولا يحب المصالحة أو رعاية المصلحة فى العقائد والأسس الإسلامية الثابتة، حتى أنه صار علامة الاتحاد، إنه اختار موقف الإمام السرهندى فى عرض الدعوة إلى الله وعمل بما اختار من موقف طول حياته بإلقاء الخطب وإعداد الكتب والرسائل الدعوية المؤثرة ونشر الأفكار الصحيحة الثابتة القوية ورحلات دعوية، خاطب الأمراء والسلاطين وكتب إليهم الرسائل المؤثرة المملوءة بالحكمة والدعوة ووجههم إلى الفكر الإسلامى والنظام الإسلامى ويمكن القول أن الشيخ الندوي كان يرصد ويترقب اللقاءات الخاصة والاجتماعات العامة لنشر الإسلام وعرض الفكر الإسلامى الصحيح والدعوة إلى الرجوع إلى الإسلام من جديد.

نعم! إنه مفكر إسلامي، المفكر الذى يعطي كل قضية من قضايا الأمة نصيبها من الاهتمام، بدأ حياته العلمية والدعوية بالعمل الدؤوب للصحوة الإسلامية، وقام بدور ملموس فى الصحوة الإسلاميه الجديدة ونستطيع أن نقول: إن الأربعة من شخصيات القرن العشرين أثرت تأثيرا عميقا فى المجتمع البشرى وتسببت في الصحوة الإسلامية الجديدة، على رأسهم الامام البنا ويتلوه الأستاذ الشهيد السيد قطب والأستاذ أبو الأعلى المودودي والإمام الندوي رحمه الله وإن جميع هؤلاء طالبوا المسلمين أن يمتثلوا الإسلام بكامله ولا يختاروا جزءا دون جزء يقول الله جل جلاله "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض" إلا أنهم (أي هؤلاء الأربعة المذكورين) اختلفوا فى بعض الأفكار والمناهج، ومن توسع الإمام الندوي أنه اعترف بكل حركة وجماعة إسلامية وصرخ بإفادتها فى كتاباته وأقر لها أنها عاملة للصحوة الإسلامية، وداعيةٌ إلى الإسلام وقيمه وحضارته، وان اختلف مع بعض منها فى بعض الأشياء فأوضح موقفه فى ذلك الأمر من غير أن ينكر جميع منجزاتها وخدماتها بل سلك طريق التعاون على البر مع الإعذار في الأمور الخلافية.

نعم! إنه مفكر إسلامى ذو فكر بالغ وشعور مرهف وقلب حنون وضمير واع ومعرفة عميقة بالتاريخ والديانات والحضارات والأقوام، فكيف يمكن له أن يرى السياسة رجساً من عمل الشيطان ويتصورها الشجرة الممنوعة مع أنه يؤمن بأن الإسلام يشمل جميع جوانب الحياة، وكيف يمكن له أن يرى السياسة منكرا مع أنه يؤكد على ضروة قيادة الإسلام للعالم ويشتاق إلى أن تكون كلمة الله هي العليا كأكثر ما يشتاق الانسان إلى شيء يحبه من زينة الدنيا وزخرفها وأموالها ومناصبها.

ولكنه ما اختار موقف من يتوغّل فى السياسة ويأخذ كل رطب ويابس وطيب وردي،لأنه يتصور السياسة أكبر سبب للرقي والازدهار والسلطة، وكذلك ما سلك طريق الحائر بين النور والظلام بل إنه أرشد إلى الصحيح والصواب وفرق بين الحق والباطل ونبه الحكام إلى الفرق بين الهداية والجبابة وأرشدهم إلى الطريق الإسلامي القويم في السياسة. كان يرى السياسة وسيلة للإصلاح، إصلاح الحكم، وإصلاح النظام الاجتماعى والاقتصادى والتعليمى وإصلاح المجتمع البشرى حتى أنه قال فى إحدى خطبه فى دولة باكستان: إن الإسلام فى أشد حاجة إلى استيلاء لأنه لايمكننا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدون الاستيلاء الذى هو مطالب فى الآية الكريمة بتضمنها الأمر والنهي. اختار موقف المصلح لإصلاح السياسة والساسة فألف أشهر كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ودعا العرب من خلال هذا الكتاب ان يعرفوا مقامهم ويرجعوا إلى شأنهم وويقوموا بتحليل دقيق فى استيراد ما تصدره الحضارة الحديثة وينتقلوا من الصراعات القبلية والعنصرية إلى الوحدة الإسلامية ومن نظام قبلي أوعنصري أوغربي إلى النظام الإسلامي الكامل وينتقلوا من الاحتلال إلى الاستقلال ثم الفتوح ويأخذوا شأنهم القيادي ويسوسوا العالم بمكانتهم التي منحهم الله تعالى باختيار جزيرة العرب لبعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ويقتضي هذا أن يزينوا أنفسهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وبحمل رسالته الخالدة السائدة الرائدة القوية الأبدية التى يمكن باتخاذها مأخذا ومصدرا ومرجعا ومنهجا النجاح في السياسة والحكم وقيادة العالم وإصباغه بصبغة الإسلام من الأمن والسلام.

وينشد دائما بيت محمد اقبال بل جعله عنوانا لخطبه فى البلاد العربية۔

کرے یہ کافر ہندی بھی جرأت گفتار　　اگر نہ ہو امرائے عرب کی بے ادبی
یہ نکتہ پہلے سکھایا گیا کس امت کو　　وصال مصطفوی، افتراق بو لہبی
نہیں وجود حدود و ثغور سے اس کا　　محمد عربی سے ہے عالم عربی

"إنه لا يتم الاتصال بمحمد صلى الله عليه وسلم إلا بانقطاع أبى لهب، وإنه لا يصح الإيمان بالله إلا بالكفر بالطاغوت، كذلک لا تتم الفكرة الإسلامية الا بإنكار القوميات والوطنيات والفلسفات المادية، إن العالم العربي أيها السادة! لا يتكون ولا يظهر إلى الوجود بالثغور والحدود، إنما يقوم على أساس هذا الدين الإسلامي وعلى الصلة بمحمد صلى الله عليه وسلم۔

وجه الشيخ ومن بواعث الأسف أن عامة الناس أصغوا إليه بسامع قلوبهم قبل أذانهم ولكن لم يعمل بما دعا إليه أصحاب الحكم والسلطة إلى العرب دعوته فى خطبه التي نشرت في رسالة بعنوان "احاديث صريحة مع إخواننا العرب" وكتب سلسلة "الاسمعيات" الدعوية التى تشتمل على كتابات بعنوان اسمعي يا مصر واسمعي يا ايران واسمعي يا زهرة الصحراء، وجّه نداءه إلى العرب وحكامهم هكذا:

فهيئوا انفوسكم للجهاد والدعوة وإذا قلدتم أمانة فأحسنوا القيام عليها، هذه وصيتي لكم ، وربما لا تقيمون وزنا لها ولكنكم ستذكرون ذلك في المستقبل "فستذكرون ما أقول لكم وأفوض امري إلى الله إن الله بصير بالعباد ـ غافر ـ ٤٤) ألف كتابه سيرة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في تاريخ دعوته كما ألف كتابه رجال الفكر والدعوة في تاريخ الدعوة والكفاح عبر العصور، وقام بجولات دعوية ألقى فيها خطبا توجيهية نشرت بعناوين مختلفة مثل "حديث بورما" و "حديث كاشمير" "نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان" إنه ما جلس منهزما ومتعبا بل سافر وسافر راجيا رحمة الله ودعا الناس بقوة وتأثير عميق، كان مفكرا لا يشغله هم عن هم، وألم عن ألم، وأسف عن أسف، ولا تشغله قضية عن قضية ومهمة عن مهمة فكان يتناول القضايا كلها في وقت واحد لا قضايا الأسرة بل قضايا الأمة المسلمة العالمية وكان لسان الأمة الناطق بالحق الذي لا يعرف لغة السياسة واللباقة بل يجهر بالحق بدون أن يترك الحكمة الدعوية، وكان يستنفد طاقته في عرض الحلول لقضايا الأمة المسلمة.

نعم! إنه مفكر إسلامي يتأثر بكل كارثة المسلمين ويتألم بأوضاعهم الراهنة المتدهورة، ويتناول القضايا والمشكلات المحلية والعالمية ويعرض الحلول لها، تارة يختار موقف الحوار والمصالحة وتارة يحرك النفوس ويجمعهم على كلمة ،أما موقفه من قضية فلسطين كارثة المسلمين جميعا، فكان سماحته أعلن بصراحة أنها لا تنحل إلا بجهاد وقوة إيمانية ،إنها تحتاج إلى رجل يجعلها قضيته الشخصية قياما وقعودا ومناما وصحوا، وصرح أنها لا تنحل إلا بقوة مؤمنة مخلصة وجهود إيمانية جبارة ولا تنحل بالحوار والسياسة واللباقة ابدا.

نعم ! إنه مفكر قام موقف القائد المخلص الحكيم عقب كل فتنة ومصيبة وبلاء ودسيسة محلية أو دولية ،شاهده التاريخ في موقفه من خضوع العرب وتقليدهم للغرب، وفي موقفه من الحركات العربية الهدامة ومن النظام الاقتصادي والتعليمي الغربي وفي موقفه من الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند واختلاط الحضارات فيها وفي البلاد العربية وفي موقفه من العبادة والسياسة والسلوك والأدب والتاريخ والإصلاح.

نجح في إنشاء جمعية "الرسالة الإنسانية" في بلادنا الهند الذي كان مناوئاً لحركة إحياء التطرف الهندوسي بين كثير من الهندوسين وانضم إليها كثير من الهندوس ومن اصحاب الدعوات والديانات المختلفة وأهل المناصب وغيرهم، ولقيت هذه الحركة في الهند تجاوبا واسعا ونجاحا كبيرا، مع كل ذلك حينما عبر في أحد اجتماعاتها أحد من غير المسلمين عن رأي تؤيد وحدة الأديان رد عليه الشيخ ردا واضحا وصرح بأن الإسلام هو الطريق الوحيد لمعرفة الله عز وجل حسب قول الله عز وجل: "وأن هذا صراطي مستقيما"

لقد سرى الإسلام في دمه ولحمه وتغلغل في أحشاءه فأخرج كل ما أخرج من الأفكار والإنتاجات من الإسلام وللإسلام، ومختصر القول أنه ولد للإسلام ومات للإسلام، فيا

أباالحسن طبت حيا وطبت ميتا، فيا من فقدنا بفقدانک القيادة المؤمنة الداعية المخلصة، ياليت ذكراک تكون مبدأ الصبح الجديد للإسلام والمسلمين

"وما احسن ما وصفه به ريحانة عصرنا العلامة الشيخ القرضاوی حفظه الله وأطال بقائه، قال: "وأتاه الله القلب الحي والعاطفة الجياشة بالحب لله العظيم ولرسوله الكريم ولدينه القويم فهو يحمل بين جنبيه نبعا لا يفيض وشعلة لاتخبو وجمرة لا تتحول إلى رماد. ويقول الدكتور عبدالقدوس أبو صالح حفظه الله تعليقا على هذه القطعة "هذا القلب الذی يعيش مع الله فی حب وشوق راجيا خائفا، راغبا راهبا، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، كما يعيش فی هموم الأمة على اتساعها ويحيا فی آلامها وآمالها، لا يشغله هم عن هم ولا بلد عن آخر ولا فئة من المسلمين عن الفئات الأخرى۔

ويسرني الآن أن أقدم بين يدي العلماء وأصحاب الفكر مجموعة البحوث المطروحة إلى المؤتمر العالمي حول "موقف الشيخ الندوي من الأفكار المعاصرة، دراسة مقارنة". وأعتقد أن هذه المجموعة تتميز عن جميع الأعمال السابقة التی تتعلق بالشيخ الندوی وحياته ومنجزاته، لأنها متنوعة من حيث الفكر والمواضيع والمحتوى، ويستوعب جوانب من شخصيته وتحيط إنجازات الشيخ الندوی فی مجال العلم والأدب والدعوة واللقاءات والرحلات وإلقاء الخطب فی بلاد شتى، ومنعتنی ضخامة الكتاب أن أقدم إلى القراء الكرام جميع البحوث فی صورتها الأصلية التی أعدها الباحثون فرأيت من المناسب الإعداد والترتيب والحذف لبعض الاجزاء من المقالات وشارک فی هذا العمل زميلنا الأستاذ الأخ محمد غزالي الندوي، فحذفت من جميع المقالات قطعا تشتمل على بيان سيرة الشيخ الندوي كما حذفت القطع التی تشير إلى ركائز فقه الدعوة عند الشيخ لأن الشيخ العلامة يوسف القرضاوي حفظه الله قدمها بتوضيح كامل وحللها تحليلا شافيا، ويستطيع أن يراجع القارئ كتاب الشيخ القرضاوي لتناول التفاصيل لركائز فقه الدعوة عند الشيخ۔

وتحيط هذه المقالات عدة جوانب حياة الشيخ أبی الحسن، وهي مقدمة إلى المؤتمر ضمن ثلاثة محاور المقررة،

1. موقف الشيخ الندوی من عرض الدعوة الإسلامية ونقد الحضارات
2. موقف الشيخ الندوی من السياسة المعاصرة والعالم الاسلامی
3. موقف الشيخ الندوی من الأدب والتعليم والتزكية

وإنني إذ أقدم هذه المجموعة بين يدي القراء أوجه شكري وتقديري إلى الباحثين المحترمين الذين اعتنوا بجمع جوانب مختلفة من حياة الشيخ ومنجزاته وقدموا كتابات قيمة.

وبهذه المناسبة أشكر الله جل وعلا على أنه وفقنا لعقد هذا المؤتمر المبارک المهم وإنجاز هذا العمل العلمي المتميز وأشكر جزيل الشكر جميع من شاركوا فی هذا المؤتمر بورقة

علمية وواجهوا مشاق السفر على دعوة متواضعة من عبد ضعيف وأهنئ جميع موظفي مؤسسة العلامة ابي الحسن علي الندوي التعليمية والخيرية ومن يتعلق بها، وأشكر على وجه خاص سعادة الأستاذ كمال أختر الندوي، والأستاذ الطبيب محمد غياث الصديقى الندوي، والأستاذ الدكتور مسعود خالد الذين بذلوا جهودا جبارة في تنظيم هذا المؤتمر وإزالة كل عائق دونه، وبخاصة أرفع اسمى معانى الشكر والتقدير إلى الاستاذ محمد كمال أختر الندوى الذى لم يدخر وسعا فى دعم هذا المؤتمر، فجزاهم الله احسن الجزاء.

وفى الأخير اريد أن أوضح أن هذه المجموعة لقد طبعت فى عجالة بالغة ولذلک يمكن أن توجد فيها أخطاء، فإنى مسؤول بالأخطاء، وستكون الطبعة الثانية منزهة من الأخطاء كما اردت أن تشمل المجموعة ترجمة المشاركين وجميع تفاصيل المؤتمر فى طبعتها الثانية، وأدعو الله أن يتقبل منا هذا العمل ويثبت لنا أجرا عنده ويوفقنا للطبعة الثانية في أقرب فرصة ونشر فكر الإمام الندوى كاملا.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

د۔ محمد طارق الأيوبى الندوى

مركز الثقافة والتحقيق، عليكره

٨/٢/٢٠١٤م

شَيْخُ الدُّعَاةِ

الأستاذ ابورياش ـ عمان

شَهِدَتْ لَكَ الْأَفْذاذُ والْعُلَمَاءُ   وَتَضَوَّعَتْ مِسْكَاً بِكَ الْأَرْجَاءُ
بُلِّغْتَ يَا بَحْرَ الْعُلُومِ مَكَانَةً   مَا حَازَهَا الْكُبَرَاءُ والْعُظَمَاءُ
هَذَا مَقَامُكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ اعْتَلَى   وَكَأَنَّهُ فَوْقَ الْأَنَامِ سَمَاءُ
يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمُسَجَّى فِي الثَّرَى   مَنْ مِنْكُمَا قَدْ مَسَّهُ الإِفْنَاءُ
هَلْ ذَلِكَ الْجَسَدُ الطَّهُورُ تَفَرَّقَتْ   أَجْزَاؤُهُ وَأَقَامَ فِيهِ فَنَاءُ
أَمْ أَنَّهُ مَا زَالَ غَضَّاً يَانِعاً   مَا مَسَّهُ تَلَفٌ وَلَا إِعْيَاءُ
أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ قَائِدَاً وَ مُجَاهِدَاً   أَسَدَاً تَهَابُ نِزَالَهُ الْأَعْدَاءُ
وَقَضَيْتَ دَهْرَكَ وَاعِظَاً وَ مؤدِّبَاً   وَ مُفَكِّرَاً دَانَتْ لَهُ الْأُدَبَاءُ
زَانَتْكَ يَا ابْنَ الطِّيبِينَ فَضَائِلٌ   وَخَصَائِلٌ وَ شَمَائِلٌ غَرَّاءُ
قَدْ كُنْتَ دَوْمَاً لَلْحَقِيقَةِ نَاشِدَاً   مَا شَابَ سَعْيَكَ رِيبَةٌ وَ رِيَاءُ
وَنَذَرْتَ نَفْسَكَ فِي سَبِيلِ رِسَالَةٍ   فِيهَا لِمَنْ يَبْغِي النَّجَاةَ غَنَاءُ
قَدْ صَانَهَا مِنْ قَبْلِكُمْ أَجْدَادُكُمْ   وَبِهَا تَمَسَّكَ آلُكَ الشُّرَفَاءُ
لِلَّهِ وَالْإِسْلَامِ كُنْتَ مُجَنَّدَاً   لَمْ يَثْنِ عَزْمَكَ أَوْ يَهِنْكَ عَنَاءُ
وَمَضَيْتَ فِي دَرْبِ الدُّعَاةِ وَنَهْجِهِمْ   فَتَعَلَّمَتْ مِنْ فِكْرِكَ الْحُكَمَاءُ
مُذْ قَدْ نَشَأْتَ حَمَلْتَ هَمَّ عُرُوبَةٍ   قَدْ مَزَّقَتْهَا الْفِتْنَةُ الْعَمْيَاءُ
فِيهَا تَرَبَّصَ كُلُّ عِلْجٍ حَاقِدٍ   وَبَغَى عَلَيْهَا الشَّرُّ وَالدُّخَلَاءُ
فَالْغَرْبُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي إِسْلَامِنَا   مَا إِنْ تَمَسَّكْنَا بِهِ اسْتِعْلَاءُ
فَتَحَزَّبُوا وَتَأَلَّبُوا وَتَلَبَّبُوا   وَلَهُ بِكُلِّ قُوَى الضَّلَالِ أَسَاؤُوا

فَوَقَفْتَ يَا شَيْخَ الدُّعَاةِ بِوَجْهِهِمْ وَعَلَى الْجَبِينِ عَزِيمَةٌ وَمَضَاءُ
جَادَلْتَهُمْ يَا شَيْخُ بِالْحُسْنَى وَلَمْ تُذْعِنْ وَإِنْ عَصَفَتْ بِكَ الْأَنْوَاءُ
كَمْ مَنْصِبٍ قُلِّدْتَهُ وَشَغَلْتَهُ لِلنَّاسِ كَانَ بِهِ هُدًى وَسَنَاءُ
أَدَّيْتَ فِيهِ أَمَانَةً وَحَمَلْتَهَا مَا شَابَهَا زَيْفٌ وَلَا أَهْوَاءُ
وَنَهَضْتَ بِالْإِسْلَامِ تُعْلِي رُكْنَهُ كَيْمَا تُرَفْرِفُ رَايَةُ الْعَلْيَاءُ
أَسَّسْتَ رَابِطَةً لَهُ أَعْضَاؤُهَا حَقًّا هُمُ الأَخْيَارُ وَالْأَبْنَاءُ
بَذَلُوا لَهُ الْغَالِي النَّفِيسَ وَأَخْلَصُوا لَمْ تُلْهِهِمْ عَنْ غَيْرِهِ أَشْيَاءُ
أَصْدَرْتَ كُتُباً فِي الْحَدِيثِ رَوَائِعاً وَمُؤَلَّفَاتٍ مَا لَهَا إِحْصَاءُ
وطَرَحْتَ فِيهَا مِن بَدَائِعِ فِكْرِكُمْ مَا فِيهِ حَقّاً لِلْوَرَى إِثْرَاءُ
مِنْ بَحْرِكُمْ نَهَلَ الدُّعَاةُ عُلُومَهُمْ وَتَفَقَّهَ الْأَقْطَابُ والنُّجَبَاءُ
خَرَّجْتَ أَجْيَالاً لَهُمْ بَصَمَاتُهُمْ وَلَهُمْ سَنَاءٌ مُشْرِقٌ وَضَّاءُ
كَمْ نَحْنُ يَا شَيْخَ الدُّعَاةِ بِحَاجَةٍ لَكَ فِي زَمَانٍ ضَاعَ فِيهِ وَفَاءُ
فِي عَالَمٍ فِيهِ الْأَوَاصِرُ قُطِّعَتْ وَتَنَاثَرَتْ فِي سَاحِهِ الْأَشْلَاءُ
وَغَدَا غَرِيباً دِينُ أَشْرَفِ أُمَّةٍ مِن بَعْدِ أَنْ حَاقَتْ بِهِ الْأَرْزَاءُ
حَتَّى لَهُ أَبْنَاؤُهُ قَدْ حَارَبُوا وَكَأَنَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ غُرَبَاءُ
قُمْ يَا أَبَا الْحَسَنِ النَّدْوِيِّ لِكَيْ تَرَى كَيْفَ ادْلَهَمَّتْ حَوْلَنَا الْأَجْوَاءُ
فَلَعَلَّ بَعْضَ حُضُورِكُمْ وَمُرُورِكُمْ مِنْ نُورِهِ قَد تُشْرِقُ الظَّلْمَاءُ
شَيْخَ الدُّعَاةِ وَهَلْ تَفِيكَ قَلَائِدٌ وَمَدَائِحٌ وَقَصَائِدٌ عَصْمَاءُ
يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ مَقَامُهُ مَاذَا يَقُولُ بِمَدْحِكَ الشُّعَرَاءُ

✪✪✪

الشيخ أبو الحسن الندوي، حكيم الوسطية

أ.د.حسن الأمراني
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الشارقة
الإمارات العربية المتحدة

يتناول هذا البحث بعضا من مظاهر الوسطية، باعتبارها منهجا اتصف به الشيخ أبو الحسن الندوي في حياته فكرا وسلوكا.

وسأرصد هذه الوسطية من خلال المحاور الاتية:

1 ــ الوسطية في السلوك

2 ــ الوسطية في العبادة

3 ــ الوسطية في الأدب والثقافة.

4 ــ الوسطية في السياسة

5 ــ الوسطية في الدعوة

6 ــ الوسطية في الموقف من الحضارة الغربية

استهلال: في مفهوم الوسطية

في الصحاح للجوهري (مادة:و.س.ط.): كل موضع صلح فيه "بين" فهو وسْط، بتسكين السين، وإن لم يصلح فيه "بين" فهو وسَط، بالتحريك.فالوسْط، بالتسكين، يكون بين شيئين، وأما الوسَطُ، بالتحريك، من كل شيء فهو أعدله. ومنه قوله تعالى: (قال أوسطهم ألم أقلْ لكم لولا تُسبِّحون)"القلم:28"، أي أعدلهم. وقال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمَّةً وسطًا)"البقرة:143"، أي عدلا، فهي أمَّة العدل. ويقال: فلان وسيطُ في قومه، إذا كان أوسطهم نسبًا، وأرفعهم محلا. ويقال أيضا:شيءٌ وسط، أي بين الجيد والرديء.

وقال الراغب في مفرداته، مادة:(و.س.ط): "وسَط الشيء ما له طرفان متساويا القدر.ويقال ذلك في الكمية المتصلة كالجسم الواحد إذا قلت وسَطُهُ صَلْبٌ وضربت وسَط

رأسه بفتح السين. ووسْطٌ بالسكون، يقال: في الكمية المنفصلة كشيء يفصل بين جسمين نحو وسْط القوم كذا. والوسَط تارة يقال: فيما له طرفان مذمومان. يقال: هذا أوسطهم حسباً إذا كان في واسطة قومه،وأرفعهم محلا، وكالجود الذي هو بين البخل والسرف فيستعمل القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيمدح به نحو السواء والعدل والنصفة، نحو: "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً" (البقرة:143) وعلى ذلك: "قال أوسطهم" (القلم:28)، وتارة يقال فيما له طرف محمود ومذموم كالخير والشر ويكنّى به عن الرذل، نحو قولهم: فلان وسط من الرجال تنبيها أنه قد خرج من حد الخير."

ومن النصوص الدالة على أنّ (أوسط الناس نسبًا أشرفهم) ما جاء في الكامل للمبرّد(4_365)، من رسالة بعث بها محمد بن عبد الله الحسني إلى المنصور: (فأنا أوسط بني هاشم نسبًا، وخيرهم أمًّا وأبًا).

واستئناسا بالمعنى القرآني لا يكون الشيء وسطا إلا إذا كان عدلا ، والنسبة وسَطِيَّة، وعلى هذا فالوسطيَّة هي فضيلة بين رذيلتين، والاعتدال ما كان بين الإفراط والتفريط، ولكن هذا لا يعني أن الوسطية تعني الوقوف بين شيئين، فليس هنالك توسط بين الخير والشرّ، ولا بين النُّور والظَّلام، ولا بين الفجور والتَّقْوى، ولا بين الإيمان والكفر. والوسطيّة هنا، أي العدل، يقتضي الصدع بالحقّ واتّباعه، وما سواه هو الهوى الذي نهينا عن اتباعه واتخاذه ربًّا.

وحين يستقيم مفهوم الوسطيّة في وجدان المؤمن، ويخالط شَغاف قلبه، يصطبغ كله ذاتًا وفكرًا وسلوكًا بهذه الوسطية، فتنعكس على حياته كلّها، وهو يردِّد قول الحقِّ سبحانه: (قل إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين) "الأنعام:163". وبهذا تحقّق الشيخ ابو الحسن الندوي رحمه الله تعالى، فصارت الوسطية عنده منهجًا وسلوكًا انعكس على كل حركاته وسكناته. ونحن نريد أن نتلمس ذلك من خلال بعض المظاهر المحددة.

1 ـــ **الوسطية في السلوك**: عاش الشيخ أبو الحسن في الهند، وهي مجمع الديانات والمذاهب المختلفة، وعاش مع فئات من ذوي هذه المذاهب، من مسلمين وهندوس وسيخ ونصارى وغيرهم، وكان بعض هذه المذاهب يوغل في تعذيب الذات مما يراه تقـرُّبًا إلى الله

تعالى وتبتُّلا. (وقد رأينا مظاهر غريبة وعجيبة لهذا التبتل، ولتلك الرهبانية، فالبعض منهم تجنب الاغتسال طول عمره، والآخر لا يرتدي إلا المسوح والثياب الخشنة، ومن كان يعيش عريانا حتى في موسم البرد القارس، وآخر يجهد نفسه بالتعبد قائما في الحر الشديد طول عمره، لا يتحرك من مكانه، ومنهم من كان يعتزل الناس، ويغادر إلى كهف أو غار، ويلزمه لا يبرحه أبدا طول حياته، وآخر يحلف ألا ياكل إلا أوراق الشجر طول حياته، ومنهم من كان يعيش حياته كلها متبتلا بعيدا عن الزواج والنساء، ويرى قطع التناسل من العبادة المقربة، وآخر يرفع إحدى يديه في الهواء ويعذّبها طول عمره حتى تجفّ، ومنهم من كان يعتقد أن حبس النفَس من العبادة، والآخر يعلق نفسه في شجرة رأسا على عقب.

هذه هي أفضل صور وأشكال العبادات الراقية المتطورة المقرِّبة إلى الله، وأعظم وسيلة لتزكية النفس وتطهير الأرواح قبل الإسلام. فلما جاء الإسلام حرّر الإنسانية من هذه الأغلال والسلاسل والمصائب، وأنجاها من جميع أنواع التعيب والإيذاء، وبيَّن لها أن هذه المظاهر ليست إلا ألعابا بدنيّة، وأصنافا من المسرحيات الجسمية، وأن الله عزَّ وجلَّ لا ينظر إلى قالب الإنسان كم تعذّب، وكم تحمَّل من المشاقِّ، وإنما ينظر إلى القلوب، فلا يكلِّف نفسا فوق طاقتها، وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم إذ قال: (لا يُكلِّفُ اللهُ نفسا إلا وسعها) "البقرة:286"، وأعلن بأعلى صوت: إنَّ هذه الرهبانية ليست إلا ابتداعا واختلاقا من عند أنفسهم، ماأانزل الله بها من سلطان، قال تعالى: (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) " الحديد: "27")(1)

عاش الشيخ أبو الحسن وسط كل تلك التيارات والمذاهب، ولكنه تسربل بالوسطية الإسلامية، فتحقق بذلك سلوكا، ولم يتأثر بشيء من أخلاط المذاهب والنحل، كما حدث لبعض المسلمين في الهند، حتى ابتدعوا في الدين ما ليس فيه، بل انسلخ بعضهم عن الإسلام تماما، كما هو شأن البابية والبهائية والقاديانيه. لقد تحقق الشيخ أبو الحسن بروح الإسلام، فعصمه الله تعالى من الشطط، ومن الميل إلى الإفراط أو التفريط، فهو يعيش حياة الزاهدين، ولكنه يعيشها مع الناس ولا يعتزلهم، فيكون سلوكه بذلك قدوة وأسوة ودعوة. لا يحرم على نفسه ما أحله الله تعالى، ولكنه يؤثر حياة السابقين من أهل الخير، في الميل إلى الزهد والرضا

بالكفاف والعفاف والغنى عن الناس. يحضر المؤتمرات العالمية، وينزل الناس في الفنادق الفخمة، ولكنه يؤثر أن ينزل في بيوت البسطاء من أهل الهند، ولاسيما من أتباع جماعة التبليغ.(2)

ومن مظاهر الوسطية في السلوك ما عُرف به رحمه الله من لين الجانب، ورقّة القلب، والتواضع مع الناس جميعا، وليس مع المسلمين وحدهم. ولكن ذلك كله لا يصرفه عن الجهر بالحق في المواطن التي تستوجب ذلك، فهو إذا انتهكت حرمة من حرمات الله تحول أسدا هصورا يزأر، ويستوي في ذلك أن يكون امام الحكام وأمام الرعية.

يقول د. محمد اجتباء الندوي عن أبي الحسن: (لم يكن يهمه العيش الرغيد، والطعام اللذيذ، (3) والفراش الناعم الوثير، كان يجلس على الحصير، ويأكل الجشب، ويلبس الخشن، ينام قليلا ويسهر كثيرا، كانت حياته كلها جهادا، وكفاحا، ومثابرة، وثباتا.

كان جريئا في الحقّ، ومقداما في إحقاق الحقّ وإبطال الباطل، وصريحا في تقديم قضية الإسلام ورسالته ومبادئه وقيمه ، قويا في التكلم في أمور المسلمين أمام الملوك والأمراء والحكام، ولكن بلين ورفيق، وتهذيب وادب، وخلق ونبل.)(4).

والذي يطالع كتابه (في مسيرة الحياة) يجد مجموعة من المواقف التي تؤكد هذا الكلام. ولكني أحب أن أسوق شهادة بما رأيت، فقد زرت الشيخ أبا الحسن في قريته (رائي بريلي) ورأيت كيف يعيش عيشة ما لبثت أن تذكرت معها كلمة الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة: "اجلس بنا نؤمن ساعة"، وأعتقد أن كل من زاره في بيته المتواضع يتذكر حياة الصحابة الكرام، وهذا ما ذكره لي أيضا الدكتور حيدر الغدير يوم زيارته له، فقد أحسَّ بالشعور نفسه. وقد قلت في نفسي يومذاك : أهذا الشيخ الزاهد هو نفسه الذي يهابه الحكّام ويضربون له ألف حساب؟

لم يكن الشيخ أبو الحسن متحققا بالوسطية في سلوكه الفردي فقط، بل جعل ذلك من جوهر دعوته، داعيا المسلمين إلى التحقق بهذه الوسطية، ممثلا لذلك بما يناسب من الأمثلة. ففي شهر يناير من عام 1986 تأسست في مقر ندوة العلماء ـــ دار العلوم، بلكنهو، رابطة الأدب الإسلامي، وقد كان ذلك اليوم مشهودا، وشارك فيه الأساتذة الضيوف من الهند ومن خارجها، كما شارك أساتذة دار العلوم ، بكلمات قيمة، وقصائد معبرة، وكان لتلاميذ الدار

وطلبتها مشاركات أيضا، وكانت لغة المؤتمر هي العربية، بالإضافة إلى أنه أنشدت قصائد باللغة الأوردية، لغة المسلمين في عموم الهند، وما زلت أذكر تلميذا لم يجاوز سن الطفولة آنذاك، واسمه محمد إسماعيل، (وقد علمت من بعض زملائه أنه صار اليوم أستاذا نبيها)، ينشد بصوت شجي قصيدة إقبال الرائعة: (دعاء طارق). وقد أشاد الأساتذة الضيوف بندوة العلماء التي أثبتت أنها قلعة للعربية في القارة الهندية (وقد أشاد بذلك الشيخ أبو الحسن في كتابه: في مسيرة الحياة،2\160). إلا أن الدكتور محمد علي الهاشمي ألقى كلمة، وبعدما حيى القيمين على ندوة العلماء وأشاد بفضلهم قال كلاما مفاده ما يلي: (نحن الآن رأينا الصورة، ونرجو أن تكون الحقيقة مطابقة للصورة. فليس المهم أن تكون الصورة جميلة بقدر ما هو مهم أن تعبر عن الجوهر، وأن يكون الجوهر سليما)، ولم يكد ينهي كلمته حتى كانت توزع علينا رسالة لطيفة للشيخ أبي الحسن، وهي رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة، وعنوانها: (الصورة والحقيقة)، وعجبنا لنباهة المنظمين من جهة، ولسبق أبي الحسن إلى معالجة الموضوع في رسالة من جهة أخرى. وقد كان هذا دأبه في كل مجلس وفي كل آن: التركيز على الجوهر لا على الصورة، وهو بذلك يستوحي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم). (رواه مسلم)

ولقد كانت للشيخ أبي الحسن كلمة أخرى تدل على المعنى نفسه سمعناها منه كثيرا، ودونها في بعض كتبه، وهي ضرورة العناية بالقيمة لا بالقامة. يقول في كتابه (في مسيرة الحياة: 76/2): "ليست العبرة بالقامة والحجم والكثرة، وإنما العبرة بالقيمة. هناك شيئان يوزنان: القامة والقيمة، ولكن الله سبحانه وتعالى فضل القيمة على القامة.إنني كلما أقرأ الآيات الأخيرة من سورة الأنفال، عجبت وعجبت وكدت أحار وأغلب على أمري، إذا قرأت قول الله تعالى: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)"الأنفال:73".

لمن يقال هذا؟ لهذه الحفنة البشرية التي تألفت من المهاجرين والأنصار، تألفت من الأنصار أصحاب الدار ومن المهاجرين المغتربين، الذين لم يتجاوز عددهم خمسمائة وألف.. ما نسبة هذه القلة القليلة التي كانت تعيش في يثرب التي سميت بعد ذلك بمدينة الرسول

صلى الله عليه وسلم، ما وزن هذه القلة وما عدد أفرادها؟ ما وزن هذه القلة في الميزان السياسي، وفي الميزان الدولي،وفي الميزان الاجتماعي، حتى في الميزان العلمي؟ إنهم ــــ كما أعتقد ــــ لم يبلغ عددهم ألفين...إنه يقال لهذه المجموعة الصغيرة التي قام عليها الإسلام، وقامت على أعناقها رسالة الإسلام...فثبت بذلك أن المسلم بقيمته لا بقامته".

2 ـ الوسطية في العبادة:

كان الشيخ أبو الحسن رحمه الله حريصا على اتّباع السنة في كل شيء، وأهمّها العبادة، فكان يحرص على التقيد بآداب الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصحابة. ونحن نعرف أن بلاد الهند بيئة ترعرع فيها الغلو في العبادات، كما نقلنا سابقا عن العلامة سليمان الندوي، وأن بيئة مثل هذه كان يسهل أن يجرَّ فيها الإنسان إلى الغلوّ والمغالاة، وقد أصاب ذلك الغلوّ حتى بعض الفئات المسلمة، ولكن حرص الشيخ أبي الحسن على الالتزام بالسنة حماه من الوقوع في الغلو، ومن هنا ألف كتابه الشهير: (ربانية لا رهبانية)، ومعلوم أن جذور الغلوّ كانت قد بدأت في العهد الأول للإسلام، كما هو واضح في حديث الرهط الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا بها فكأنهم تقالوها، ثم قالوا: أين نحن من النبي صلى الله عيه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأقوم الليل ولا أنام، وقال الثاني: وأما أنا فأصوم الدهر لا أفطر، وقال الثالث: وأما أنا فأعتزل النساء، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني). (متفق عليه).

وهذا نص مما يقوله الشيخ أبو الحسن رحمه الله، وهو شديد الدلالة على ما نريد: (إنني لا ألح على منهاج خاص من التزكية درج عليه جيل من أجيال المسلمين، واشتهر في الزمن الأخير بالتصوف ــــ من غير حاجة إلى ذلك ــــ فقد كان في كلمات الكتاب والسنة ومصطلحاته غنى عنه، ولا أبرئ طائفة ممن تزعم هذه الدعوة وتضطلع بها، من نقص في العلم والتفكير، أو خطأ في العمل والتطبيق، ولا أعتقد عصمتها، فكل يخطئ ويصيب، ولكن لا بد أن نملأ هذا الفراغ الواقع في حياتنا ومجتمعنا، ونسد هذا المكان الذي

كان يشغله الدعاة إلى الله والربانية والمشتغلون بتربية النفوس وتزكيتها وتجديد إيمانها وصلتها بالله والدعوة إلى إصلاح الباطن، والعناية بالفرد قبل المجتمع.) (5)

فهذا النص شديد الأهمية، فهو بالإضافة إلى دعوته إلى الوسطية في العبادة، يدعو إلى أمر بالغ الأهمية، وهو عدم الوقوع في فخّ مصطلحات مستحدثة لا تستوجبها الحاجة، والاكتفاء بالمصطلحات القرآنية، ذلك بأن العدول عن المصطلح القرآني إلى سواه هو بداية الزلل، لأن كل مصطلح يجر من ورائه دلالاته التي قد تبعد قليلا أو كثيرا عن دلالات المصطلح القرآني. وهكذا فإن اختيار مصطلح التصوف، بدلا من المصطلحات القرآنية، كالتزكية والربانية، كان مدخلا لكثير من التصورات، بل والسلوكات أيضا، التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولم تكن على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم.

3 ـــ الوسطية في الموقف من الثقافة الغربية:

كان الشيخ أبو الحسن رجلا متمكنا من عدد من اللغات، منها الأوردية والعربية والفارسية والإنجليزية، واطلع على الثقافات والآداب التي تضمنتها هذه اللغات اطلاع خبير، وقد مكنته الإنجليزية من معاشرة الفكر الغربي معاشرة تسمح له بتقويم ذلك الفكر والحكم عليه . ونحن نعرف أن الطبقة المثقفة في البلاد الإسلامية قد انقسمت انقساما مريعا في الموقف من الحضارة الغربية، فهنالك من دعا إلى أن نأخذ الغربية بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، إذا أردنا لأمتنا الخير والنهضة، وهذا ما نادى به طه حسين في كتابه: (مستقبل الثقافة في مصر)، ومنهم من انكب على نفسه، ودعا إلى أن نصم آذاننا عما حولنا من حضارة الغرب، رغم ضجيج آلة هذه الحضارة المصمة للآذان، ومن هؤلاء الأستذ أنور الجندي رحمه الله، وبقيت طائفة ثالثة في حيرة من أمرها، لا تعرف ما تأخذ وما تدع من هذه الحضارة. وثلة من العلماء والدعاة والمفكرين جمعوا المعرفة بحضارة الشرق وحضارة الغرب، فدعوا إلى التجديد على بصيرة، وجعلوا الوسطية هاديا ونصيرا، وقد كان الشيخ أبو الحسن من أبرز هؤلاء، وقد ساعده على ذلك النشأة الحسنة، وكونه تربى في كنف أبيه العلامة عبد الحي الحسني الندوي، ثم في رعاية أخيه الدكتو عبد العلي الحسني الندوي، الذي كان هو أيضا من المطلعين على الثقافتين الإسلامية والغربية، فكان أثره على أخيه عظيما.

ولعل بعضهم يرى أن الجمع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية كالجمع بين الأضداد:

وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأعجب من أن أجمع الجَدّ والفهما

ولكن الجمع بين الأضداد لم يكن عزيزا على همة أبي الحسن رحمه الله. يقول متحدثا عن سنوات التكوين: (لقد ولدت في بيت كان موضوعه الحبيب بل هوايته التأليف في سير الرجال وطبقاتهم، وتراجم العلماء وأهل الفضل، وخاصة الذين أنجبتهم أرض الهند... قد نشأت بصفة خاصة على حب التفنن في الفضائل والجمع بين الأشتات بل الأضداد من الفضائل الإنسانية وأنواع العلوم والمعارف والآداب والثقافات وعلو الهمة، والقدرة الفائقة على التنسيق بينها، وتسخيرها للوصول إلى غاية مثلى وخدمة العلم والدين، حتى لو أدى ذلك إلى المشاركة في علوم وآداب يتحاشى عنها كثير من علماء الدين، ويعدونها من ضالة الآداب وبراية الآداب.)(6)

وعلى هذا لم يكن من المستغرب أن يقف الشيخ أبو الحسن موقفا عدلا من الحضارة الغربية. (7)

إنه الموقف الذي يستوحي الآية الكريمة: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا، اعدلوا هو اقرب للتقوى)""المائدة:8". وقد كان أبو الحسن رحمه الله شديد الإعجاب .بمحمد إقبال، فلم يكن غريبا أن يلتقي الرجلان العظيمان في الموقف من الحضارة الغربية، فهي حضارة لا تخلو من خير ونفع، وإن كان شرها أكبر من خيرها، وضررها أكثر من نفعها (8). ولقد عاش محمد إقبال في الغرب، ولا سيما في بريطانيا والمانيا، حيث نال من هناك شهاداته العلمية العليا، وقد شبَّه الحضارة الغربية بنار النمرود. ولكنه يحمد الله تعالى على أن نجاه من هذه النار كما نجى إبراهيم من نار النمرود من قبل.

وكذلك هو شأن الشيخ أبي الحسن، فقد اطلع على الحضارة الغربية واستفاد مما فيها من عناصر الخير، إلا أنه لم يفتن بها، بل كثيرا ما حذر من أحابيلها. وهو يدعو إلى عودة الشباب المسلم المثقف إلى الإسلام بمعناه الواسع من جديد، وتحريرهم من رق الفلسفات الغربية التي آمن بها كثير منهم بوعي ودراسة، وأكثرهم بتقليد وتسليم، ويقيم في عقولهم أسس الإسلام من جديد ويغذي عقولهم وقلوبهم.(9)

على أنه ظل راغبا في إقامة جسر التعاون والتفاهم مع هذه الحضارة، ومن هنا كان إنشاء المركز الإسلامي في جامعة أكسفورد، وذلك في شهر أكتوبر من عام 1985، وهو المركز الذي جعل من بين أهدافه التعريف بحقيقة الحضارة الإسلامية في الغرب، وإحداث تواصل فعال بين الشرق والغرب. وقد طالما أثنى الأمير شارلز، أمير ويلز ولي عهد بريطانيا، على جهود هذا المركز.وقد اختير أبو الحسن لرئاسة المركز، وبمساعدة الدكتور فرحان نظامي، وقد ألقى سماحته خطابا في افتتاح المركز، وكان مما قال فيه: "إن قيام هذا المركز الإسلامي في جامعة أكسفورد مبشر بالخير، تنفتح به أبواب جديدة من المعرفة الصحيحة والتفاهم، وتنكشف سبل جديدة للبحوث والدراسات العلمية، لا بد من تعميم الوعي الصحيح لما قدمه الإسلام من دروس الإنسانية والسعي لرفع الإنسان نحو الذروة السامقة والقمة العالية، كانت البشرية تئنّ تحت وطأة الدمار والهلاك، وكادت تلفظ أأنفاسها الأخيرة، فقام النبيّ صلى الله عليه وسلم، ونفخ فيها روح الحياة وبعثها من جديد، وإن التقدمات الهائلة التي أحرزها الإنسان في القرون التالية، تدين لهذا الجهاد والقائد العظيم في سبيل إنقاذ البشرية، والرسول صلى الله عليه وسلم هو الرائد لهذا الجهاد والقائد لهذا الكفاح، ولولا قيامه بهذه الجهود للأخذ بيد البشرية، لما كان لهذه الجامعات والمؤسسات من عين ولا أثر".(10)

4 ـــ الوسطية في الأدب:

منذ وقع الاحتكاك في العصور الحديثة بين الحضارة الغربية والعالم الإسلامي، انطلاقا من حملة نابليون على مصر عام (1789م) حتى استعمار فرنسا الجزائر عام (1830م) ودخول الإنجليز إلى الهند وإعلان الملكة فكتوريا نفسها إمبراطورة على الهند عام (1877م)، بدأت الفكرة الغربية تتغلغل في العالم الإسلامي، ومن ضمن ذلك الأدب، وصار الشرق الإسلامي موضوعا أثيرا لدى أدباء الغرب، حيث كتب الأديب الإنجليزي روديار كبلنج: (كتاب الأدغال)، مستلهما وجوده في الهند، وكتب الشاعر الألماني غوته ديوانه: (الديوان الشرقي للشاعر الغربي)، كما كتب الشاعر الفرنسي فكتور هيجو ديوانه: (الشرقيات) . وكما تباينت مواقف أدباء الغرب في كتاباهم تلك بين الإعجاب والاستهجان، كذلك بدأت تتشكل مواقف متباينة داخل كتاب العالم الإسلامي وأدبائه

تجاه الحضارة الغربية، بعامة، والأدب الغربي بخاصة, فهناك من ظل متشبثا بالثقافة القديمة رافضا كل جديد، ظنا منه أن ذلك يمثل نوعا من التشبث بالأصالة وحفاظا على الهوية والحصانة ضد الاقتلاع الحضاري، بينما انسلخت طائفة من أدبائنا وأقبلوا ـــــ هروبا من تقليد القديم ـــــ يقلدون كل ما ظهر في الغرب من المذاهب والاتجاهات والأفكار.

وكما عهدنا الشيخ أبا الحسن، وهو الأديب المرهف، المتعدد المواهب واللغات، ينحو نحو الوسطية في المواقف كلها، وجدناه يتخذ في الأدب موقف الوسطية الذي يبحث عن المفيد والجميل، ولا يهمه في ذلك ـــــ إن أرضى الحق ـــــ أن يغضب المحافظين والحاثيين على السواء. بل لقد كانت له اجتهادات خاصة ومتميزة في مجال الأدب، ومنها أنه كان سباقا إلى تجاوز النظرة الاستشراقية إلى الأدب العربي، حيث فتح عيون الناس على أن الأدب العربي ليس محصورا فيما كلف به المستشرقون، وقدموه لنا في تواريخهم لآدابنا (9)، بل لقد بين لنا أن عيون الأدب العربي ليست وقفا على تلك المظان المذكورة والمشهورة، وإنما أجمل الآداب وأصدقها وأبينها وأروعها ليست مبثوثة في كتب الآداب، بقدر ما هي كامنة في كتب تبدو لأول وهلة أبعد ما تكون عن الأدب، وذلك مثل كتب السيرة، وكتب التاريخ، وحتى كتب الأصول والفقه. فقد نبه مثلا، خلال اختياره عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق، على نظرة جديدة للأدب العربي، عندما وقف عند نص أدبي رائع أوردته كتب السيرة، وهو حديث كعب بن مالك، رضي الله عنه، وهو من الثلاثة الذين خلفوا.

كما أن كتابه: (مختارات من أدب العرب) دل على ذوق أدبي رفيع وحس مرهف ونظر جديد إلى الأدب العربي. وقد أشاد الأستاذ علي الطنطاوي رحمه الله بهذا الكتاب ومنهجه، فكان مما قال: "ولقد كنت أتمنى من قديم أن نخرج بتلاميذنا من هذا السجن الضيق المظلم الذي حشرناهم فيه إلى فضاء الحرية، وإلى ضياء النهار، فلا نقتصر في الاختيار على (وصف الكتاب) للجاحظ، وهو جمل مترادفة لا تؤلف بينها فكرة جامعة، ولا يمدها روح، ولا تخالطها حياة، وعلى ألاعيب ابن العميد، وغلاظات الصاحب، وهندسات القاضي الفاضل، فننفر التلاميذ من الأدب، ونكرهه إليهم!!

وكنا نقول لهم: إن البيان الحق عند غير هؤلاء، وإن أبا حيان التوحيدي أكتب من الجاحظ، وإن كان الجاحظ أوسع رواية وأكثر علما، وأشد تصرفا في فنون القول، وأكبر أستاذية، وإن الحسن البصري أبلغ منهما، وإن ابن السماك أبلغ من الحسن البصري، وإن النظر فيما كتب الغزالي في الإحياء، وابن خلدون في المقدمة، وابن الجوزي في الصيد، وابن هشام في السيرة، بل والشافعي في الأم، والسرخسي في المبسوط، أجدى على التلميذ وأنفع له في التأدب من قراءة حماقات الصاحب ومخرقات الحريري وابن الأثير." (11)

في حوار أجرته مجلة المشكاة المغربية مع سماحة الشيخ الندوي سألناه إن كان يصح أن نطلق مصطلح (الأدب الإسلامي) على النصوص الأدبية التي ينتجها الغربيون من غير المسلمين، وتتلاقى تصوراتها مع التصور الإسلامي، (وذلك أمر أثار جدلا بين أهل الأدب الإسلامي منذ أقدم الأستاذ محمد قطب على تقديم نماذج من الأدب الغربي في كتابه عن منهج الفن الإسلامي) فقال الشيخ :لا، فقلنا : إذن ما التسمية التي تقترحها لذلك الأدب؟ فقال دون تردد: (أدب صالح). هذا هو المقياس إذن، وهذا هو الميزان الذي يزن به الشيخ أبو الحسن الأدب، سواء أكان شرقيا أم غربيا: الأدب الذي ندعو إليه، والأدب الذي ندعو إلى قراءته والاستفادة منه، يجب أن يكون صالحا.الصلاح والجودة هما سر تقدم الأدب. ومن هنا لم يكن الشيخ أبو الحسن مناصرا ولا عدوا للأدب، بالنظر إلى منشئه، بل بالنظر إلى الأدب نفسه. وهو يشرح لنا سر إعجابه بإقبال فيقول: (إن أعظم ما حملني على الإعجاب بشعره هو: الطموح، والحب، والإيمان، وقد تجلى هذا المزيج في شعره وفي رسالته أعظم مما تجلى في شعر معاصر، وهي تندفع اندفاعا قويا إلى كل أدب ورسالة يبعثان الطموح وسمو النفس، وبعد النظر والحرص على سيادة الإسلام وتسخير هذا الكون لصالحه، والسيطرة على النفس والآفاق، ويغذيان الحب والعاطفة، ويبعثان الإيمان بالله والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبعبقرية سيرته، وخلود رسالته، وعموم إمامته للبشرية كلها.) (12)

وقد رأينا من قبل كيف كان ميالا إلى المشاركة في علوم وآداب يتحاشى عنها كثير من علماء الدين، بل كثير من علماء الأدب أيضا. ففي يناير من عام 1986م، وفي ندوة العلماء، دار العلوم، بلكنو، أسست رابطة الأدب الإسلامي، وكان بعض مؤسسيها ممن

يعادي الشعر الحر، الذي ظهر في العالم العربي في منتصف القرن الماضي على يد نازك الملائكة، وكان يسمي ذلك الشعر (الشعر المنفلت) ويعتبره مؤامرة على تراثنا. وقد أخبرني بعض أدباء الهند، ومنهم الأستاذ عبد النور الندوي رحمه الله، أنه ظهرت هذه الحركة في الهند أيضا، وذلك بعد الجيل الذي خلف جيل إقبال. ولكن الشيخ أبا الحسن لم يكن عدوا لشيء من ذلك ما دام يحمل رسالة سامية، أو بتعبير آخر: (ما دام صالحا)، فقد يستمع لذلك الشعر، بل ويطرب له أيضا، ولذلك انضم كثير من الشعراء الإسلاميين الذين يكتبون الشعر التفعيلي إلى رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وتقوت بهم، ومنهم على سبيل المثال، ممن أفضى إلى ربه:الشاعر حسين علي محمد والشاعر عبد المنعم عواد يوسف من مصر، والشاعر محمد بنعمارة والشاعر فريد الأنصاري من المغرب، رحمهم الله جميعا.

وإذا كان الشيخ أبو الحسن يرحب بالأدب الصالح مهما كان مصدره، فإنه في مقابل ذلك كان محاربا للأدب المنحرف مهما كان مصدره. ومما لا ريب فيه أن الآداب في العالم الإسلامي في العصور الحديثة قد أصيبت بلوثة الفساد، نتيجة تأثرها بالفلسفات والمذاهب الغربية المنحرفة، ففي العالم العربي مثلا ظهر عندنا الفكر الوجودي، ممثلا في بعض الشعراء، من أمثال صلاح عبد الصبور، وفي بعض المنابر الثقافية، من أمثال مجلة (الآداب) البروتية، كما وجدت المذاهب اليسارية، بمختلف اتجاهاتها، كالشيوعية والفوضية، مرتعا خصبا في بلادنا، واغترب الأدب الإسلامي في بلاده، مما دعا الشيخ أبا الحسن إلى النهوض بمواجهة ذلك الانحراف، وكان من بين تلك الوسائل التي كان يواجه بها الانحراف، رابطة الأدب الإسلامي العالمية. يقول في (مسيرة حياة): " إن الكاتب بتأثير الأسرة والبيئة وانتمائه إلى طبقة خاصة ومؤسسة خاصة (ندوة العلماء) لم يغفل..الميول والنزعات الأدبية السائدة في عصره، ودراسة الحركات الأدبية واستعراض آثارها الإيجابية أو السلبية على النشء الجديد وأوساط المشتغلين بالعلم والأدب، والتفرس لأخطار تحرر الأدب والشعر والفكر والبحث عن ربقة الدين والأخلاق، بل معارضتها للدين ومجابهتها له، ونتائجها الخطيرة المريرة والقيام بمقاومة هذه الفتنة، وتنبيه الناس لها، لم يغفل المؤلف شيئا من ذلك، وهذا الذي حمله على قبوله لمسؤولية (رابطة الأدب الإسلامي) ورئاسته".(13)

لم يكتف الشيخ أبو الحسن بوصف ما آلت إليها الآداب من الانحدار والتردي، بل كان شأنه في ذلك شأن النطاسي الخبير الذي يبحث عن أصل الداء لاجتثاثه، والكشف عن الدواء الناجع. وهكذا ففي ندوة من ندوات رابطة الأدب الإسلامي بالهند، وصف أصل الداء، مبينا أن انحراف الأدب كان نتيجة لانحراف الفكر، فقال: " إن السبب الأكبر والأساسي لانحراف الغرب وضلاله وزيغه واختلاله، هو حرمانه من نور النبوة والرسالة، فإن النبوة وحدها هي التي تخرج الإنسان من الظن والتخمين، وتبلغه إلى الإيمان واليقينن. و لم يزل الغرب رغم جميع فتواحاته وانتصاراته المادية، وفي رحلته الطويلة في العلم، محروما من النبوة."

ثم صرح بعدذ لك "بأن القيادة العلمية والفكرية والأدبية للعالم كله من واجبات المسلمين، وهي حق للأمة الإسلامية، وماذا سيجر من شقاء وبلاء لو تخلت الأمة عن منصبها ودورها القيادي، وما تلحق بها كذلك من خسائر وأخطار" (14)

ولن يستطيع أدباء الإسلام أن ينهضوا برسالتهم الملقاة على عاتقهم إلا باسترجاع روح النبوة، تلك الروح التي تلبست محمد إقبال فأبدع أيما إبداع في شعره الحي الذي أيقظ القلوب، وأحيا النفوس وألهب المشاعر:

" لقد أصبح العالم من غزو الإفرنج وظلمه خرابا يبابا، فقم يا باني الحرم، لبناء العالم من جديد، قم من السبات العميق الذي طال أمده واشتدت وطأته". (15)

5 ـــ الوسطية في الدعوة:

سخر الشيخ أبو الحسن حياته كلها للدعوة إلى الله، وهو يستحضر قوله تعالى: "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" (آل عمران:159)، فكان لين الجانب مع الأولياء، دمث الخلق مع الأعداء، عاش في بيئة تضم الملل والنحل المختلفة، هي الهند، فتوجه بدعوته لا إلى المسلمين وحدهم، بل إلى عموم سكان الهند. وقد أدرك أن المسلمين، ولاسيما بعد انفصال باكستان عن الهند، صاروا من الأقليات (ويسميها أبو الحسن "الأقلية الكبيرة" كما في مسيرة الحياة:3\63)، في مقابل الهندوس الذين ظهرت فيهم حركات متطرفة تسعى إلى طرد المسلمين من الهند، فخاطب جميع الفئات، باعتبار المصلحة الوطنية، ومن هنا فإنه كانت هناك حركة في العالم العربي والإسلامي، الذي لم يشهد تعدد المذاهب

والأديان، تهاجم العلمانية، وترى أن دعاة العلمانية يريدون فصل هذه الأمة عن دينها ومقوماتها، ولكن الشيخ أبا الحسن كان يرى أنه لا سبيل للمسلمين في الهند إلى المحافظة على كيانهم إلا العلمانية، وهو ما لم يستوعبه بعض الدعاة، ولاسيما في العالم العربي، أو لم يستوعبوه على الأصح إلا في هذه الفترة التي تسمى بفترة الربيع العربي. أما الشيخ أبو الحسن فقد أعلن بكل وضوح، وفي أكثر من مناسبة، وفي أكثر من موضع، أنه لا سبيل إلى المحافظة على الوجود الإسلامي في الهند إلا العلمانية. ففي 6 أكتوبر 1991 انعقدت ندوة برئاسته، تحت إشراف جمعية المثقفين المسلمين لعموم الهند في مدينة لكنؤ، ألقى فيها كلمة، وضرب مثلا برجل ثريّ ورّث ولده حديقة، وأوصاه بعدم اقتلاع شجرة بعينها، فلم يحفظ الوريث الوصية، فلدغته حية.ثم قال:" وهذه الحكاية تنطبق على العلمانية، وهذه أهميتها في الهند، فلو اقتلع أحد هذه الشجرة التي تصون البلاد، وتحفظها من الويلات الكثيرة، واقتلعت معها شجرة (اللاعنف)، لابتلعت الهند حيات التطرف والإرهاب والعصبيات والطائفية، ولن يبقى شيء".(16)

وانتصارا لفكرة دعوة عموم أهل الهند، بغض النظر عن الدين أو المذهب، أنشأ الشيخ أبو الحسن حركة مباركة، هي (رسالة الإنسانية) وذلك في عام 1951م، وكان يعقد لها الندوات والمؤتمرات، ولأنها كانت دعوة وسطية كان يشارك فيها وجهاء وأعلام من طوائف غير مسلمة ، بل ويتولى رئاسة بعض حفلاتها كبار الهندوس. يقول الشيخ أبو الحسن: "لقد كنت مع نشاطاتي العلمية، وانشغالاتي العلمية والأدبية، ورحلاتي الداخلية والخارجية، لا تزال هذه الحقيقة ماثلة أمام عيني: أنه لا يجوز التغاضي ، في البلاد التي قررنا أن نعيش فيها ونسكنها، عن تقدير الوضع الصحيح والنزعات الهدامة المثيرة والأخطار المستقبلية، ولذلك كان يستولي علي دائما التفكير في نشر (رسالة الإنسانية)، والقيام بدعوتها على النطاق الواسع، وقد كانت هناك قبل ذلك جولات دعوية في هذا الصدد... وكانت لها نتائجها الطيبة المشجعة، ونظم برنامج جولة في مارس عام 1985م لمنطقة (بنديل كهند)... وكان من خصائص هذه الجولة أن فضيلة الشيخ السيد صدّيق أحمد البانْدَوي...كان يرافقنا في السفر، ويحاول جهده في إنجاح هذه المهمة ومساعدة هذه الجولة

بتأثيره الديني والخلقي ومكانته الاجتماعية وشخصيته المخلصة المحببة، فكان يتقدمنا كرائد، وينظم إقامتنا ويضع برنامج الاحتفالات والندوات، وقد رأس الاحتفال في "بنا" أميرها الهندوسي، وأبدى انطباعاته الطيبة...ورأس الحفل في "سيدهي" الدكتور سون سنغ، وهو أخو "أرجن سنغ" كبير الوزراء لولاية مدهية براديش سابقا وحاليا، جاء من "ريوا" لرئاسة الحفل، وأسندت رئاسة الحفل في "ستنا" إلى الدكتور "راهو" رئيس قسم العلوم." (17)

ولقد كانت (رسالة الإنسانية) واجهة من عدة واجهات يشتغل من خلالها الشيخ أبو الحسن، ويبلغ دعوته إلى الله عز وجل.

وقد كان رحمه الله وسطيا في دعوته، سواء أكان الخطاب موجها إلى الطبقات الشعبية أم إلى الطبقات الحاكمة. وإن أسلوب الحكمة المتبع هو الذي أدى إلى إسلام قرية كاملة من المنبوذين. (18)

على أن هناك أمرا مهما نبه عليه الشيخ أبو الحسن، والناس عنه غافلون، وهو كيفية التعامل مع المسلمين، ممن ابتلوا بتبني أفكار هدامة، وممن فتنوا ببعض المذاهب الفكرية والأدبية المخالفة لروح الإسلام، فراحوا يصدرون عنها فيما يكتبون، ويبشرون بها فيما ينشرون، وهم بصفة عامة يحتلون مواقع ذات أهمية كبيرة في الحياة العامة. وهم يمتلكون زمام كثير من المؤسسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ويتحركون من خلال كل ذلك لتشكيل الوعي الجماهيري بما يناسب تصوراتهم وأفكارهم.. ولقد وقف بعض دعاة الفكر والأدب الإسلامي من هؤلاء موقفهم من الأعداء، مما ولد رد فعل عنيفا عند أولئك، وراحو يتهمون، ليس المسلمين فقط، بل الإسلام نفسه بتهم التخلف والرجعية والانغلاق والانعزالية والتطرف وما إلى ذلك من الأوصاف المجافية لروح الحق. أما أبو الحسن فقد نظر إلى هؤلاء على أنهم مسلمون غافلون، فهم بحاجة إلى من ينبههم ويردهم إلى صفوف الأمة ردا جميلا، وذلك ما لا يكون بالقطيعة معهم، بل بالاتصال بهم، ومخاطبتهم على أنهم جزء من الأمة، وعلى أنهم قوة يجب استثمارها بالشكل الذي يخدم الأمة. يقول: " لابد من تفكير هادئ عميق، كيف نرد الطبقة المثقفة التي تحتكر الحياة، وتمتلك الزمام، إلى الإسلام

من جديد، وكيف نبعث فيهم الإيمان والثقة بالإسلام، وكيف نحررها من رق الفلسفات الغربية والعصرية ونظرياتها اللادينية؟" (19)

كم كنا سنوفر على أنفسنا من الجهد لو وعينا هذه الدعوة وعملنا بها؟ كم كنا سنربح من الجنود الذين سينضمون إلى صفوف الأمة، بدلا من أن يبقوا نهبا للفلسفات الغربية، حتى صار بعضهم (طابورا خامسا) لتلك الفلسفات الغربية، على غير إرادة منه؟ وما حجم الخير الذي كنا سنجنيه لو جادلناهم بالتي هي أحسن، و لم نتزلق ـــ كما حدث لبعضهم ـــ إلى مهاوي التفسيق والتكفير، فأعنا الشيطان على إخوة هم منا ونحن منهم؟

6 ـ الوسطية في السياسة:

هذا مجال فيه كثير من المحاذير، ولذلك اعتبر بعضهم، عن إخلاص، أن السياسة رجس من عمل الشيطان، فاجتبوا كل شيء له صلة بالسياسة، وما علموا أنهم بذلك يعتزلون الحياة نفسها، ولا شك أن الإخلاص هو المنطلق، ولكن الإخلاص ينبغي أن يكون مقرونا بأن يكون العمل صوابا.

أما أبو الحسن فقد كان له في السياسة صولات وصولات، ولكن من منطلق الداعية، لا من منطلق السياسي المحترف. فلذلك كان يلتقي بالزعماء السياسيين والحكام، ويكاتبهم، وينصح لهم، ولكن برفق ولين. ولو رجعنا إلى سيرته (في مسيرة الحياة) لتبين لنا عدد الزعماء والرؤساء والملوك الذين التقى بهم ناصحا. (20)

وكان رحمه الله يلخص فلسفته في دعوة الحكام إلى الإصلاح في كلمة طالما كان يرددها، وهي: "نحن نريد أن يصل الإيمان إلى أهل الكراسي، لا أن يصل أهل الإيمان إلى الكراسي" (21) وقد سمع أبو الحسن هذه الحكمة من أحد حكماء اليمن، والحكمة يمانية، ومنذ ذلك الحين اتخذها شعارا ومنهجا، حيث وجدت في نفسه قبولا واستجابة وانسجاما مع ما كان يومن به، ولأنه المنهج الذي كان يتبعه الإمام السرهندي، وهوالإمام الذي كان أبو الحسن يكن له تقديرا عظيما. (22)

إذا كان صحيحا أن السياسة هي فن الممكن، وإنه لصحيح، فإن أبا الحسن الندوي سياسي من الطراز الأول. فالناس من السياسة أحد رجلين: إما رجل يرى السياسة رجسا

من عمل الشيطان، فهو يعتزلها بكل صورها، ويهرب منها أي مهرب، وإما رجل يراها سلما للارتقاء إلى منصب الحكم، وإلى الحصول على جاه دنيوي عارض، وإن رآه عريضا، فهو يأخذها بكل ما تتصف به من ضروب المكر، أو يسعى إلى غايته عن طريق مبدأ ميكيافيللي (الغاية تبرر الوسيلة)، فلا يراعي في ذلك أخلاقا ولا أعرافا ولا قيما.

ولكن هنالك صنفا ثالثا يرى السياسة منهجا للإصلاح، يقوم على الرفق والنصح، ويسعى إلى استنبات النموذج المثالي في الواقع بالحكمة والموعظة الحسنة. فقد كان رجاء ابن حيوة معينا لعمر بن عبد العزيز على اتباع طريق الصلاح، والشيخ أبو الحسن من هذا الصنف. وهنا ينبغي أن نذكر بما قررناه، وهو أن الوسطية التي هي فضيلة بين رذيلتين، لا تعني دائما الوقوف في وسط الطريق، بين الظلمة والنور، وبين الخير والشر، بل هي النور والخير، وهي تعني العدل والقسط، فأيما طريق حقق لنا العدل، فذلك هو طريق الوسطية، حيث لا منزلة وسطى بين الجنة والنار.

لقد كنت في ريعان الشباب ممن يرى أن القوة ــــ وربما الثورة الدموية ــــ وحدها السبيل إلى تحقيق الغايات، وإصلاح ما فسد من أوضاع الأمة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والخلقية، وكان ذلك من فعل تأثير حياتنا الجامعية التي كانت تسودها شعارات الثورة الحمراء، والعنف الثوري، لذلك وقفت، كما وقفت معظم الحركات الإسلامية، مع الثورة الإيرانية التي قادها الخميني، باعتبارها ثورة إسلامية. ولكنني عندما التقيت بشيخنا أبي الحسن، تعلمت منه شيئا كثيرا. وقد كان موقفه واضحا من الثورة الإيرانية، ورؤيته ثاقبة، في وقت ضلت فيه العقول والأحلام، وزلت فيه الأقدام. لقد قال لنا رحمه الله عندما لقيناه في لكنهو عام 1986، وقد سألناه: ما الذي يمنع من مؤازرة الثورة الإيرانية؟ فكان جوابه: إذا كنا سننتصر لها لأمر واحد فقط، وهو أنها أعلنت الوقوف ضد الاستكبار العالمي (وهذه عبارته رحمه الله تعالى) فما الذي يمنعنا من الوقوف مع كوبا مثلا، وهي تقف ضد الاستكبار العالمي منذ عقود؟ إن الميزان عندنا هو العقيدة. فهل هي حقا ثورة إسلامية؟ في تلك الفترة كان رحمه الله قد كتب كتابه القيم: (صورتان متضادتان:السنة والشيعة)، وقد بين في هذا الكتاب الفرق الجوهري بين السنة والشيعة، وقد كان بعض أهل السنة من

المناصرين للثورة الإيرانية يتذرع ويقول إن الخلاف بين الطائفتين خلاف تاريخي فقط، ولم يعد له وجود الآن، لأن المصحف الذي يوزع في طهران اليوم هو نفسه الموجود في بقية أنحاء العالم. ولكن الأيام، ولاسيما في الأحداث الأخيرة التي يشهدها العالم العربي، أثبتت أن الخلاف أعمق من أن يكون تاريخيا(23).

وعلى الصعيد العملي، أشار الشيخ أبو الحسن، في كلمة ألقاها في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي العام الثالث، الذي انعقد في 1987 إلى أن (من إعجاز القرآن أنه أشار إلى نوع جديد من الهجوم والغزو على البلد الأمين، والبيت العتيق، لم يجربه العرب في العصر الجاهلي وفي زمن البعثة، وهو حرب المؤامرات والدعايات والدعوة إلى إثارة الفتن)، ووضح ذلك قائلا: (وأشرت في ذلك إلى الاستراتيجية الإيرانية العقائدية والسياسية، التي ظهرت طلائعها في موسم الحج الماضي، وقلت: إن العرب لم يكونوا يعرفون إلا الحرب السافرة والهجوم العلني، والذي كان من نماذجه غزو أبرهة بجيشه مكة، الذي جعله الله هباء منثورا، أما إرادة الإلحاد بظلم فلم يعرفها العرب، وأنذر بها القرآن الكريم وهدّد عليها بقوله: (نذقه من عذاب اليم)، وهو مصير هذه المخططات الرهيبة الدقيقة التي يفكر فيها المقنعون بالإسلام، الهاتفون بقيام دولته ومجده كذبا وزورا". (24)

يقول: د.محمد أكرم الندوي:" لم يهتم الشيخ الندوي بالسياسة كأحد لاعبيها فقط، ولكنه عاش الأوضاع السياسية للمسلمين في الهند والعالم العربي والإسلامي يتأثر بها ويستوحيها، ويقوم بإسداء التوجيهات والنصائح للمسلمين.

يرى الشيخ الندوي أن السلطة نتيجة لا غاية، وكان يرشد الجماعات الإسلامية إلى ان تجعل غاية سعيها وعملها الدعوة إلى الله، كما كان يؤكد أن الهدف من إقامة حكم إسلامي هو الهداية وليس الجباية، وكتابه (التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات المودودي وسيد قطب) يترجم عن موقفه من الفكر السياسي الإسلامي" (25).

وللشيخ أبي الحسن رسالة "بين الجباية والهداية"، وهي رسالة كتبها في الحجاز.قال رحمه الله:" كتبت هذه الرسالة بعضها في مقري وبعضها على الحافلة التي تنقلني مع الركاب من مكة إلى جدة، وبعضها على الميناء في انتظار الباخرة، ثم سلمتها إلى الشيخ عبد الله

البياوي المقيم في مكة المكرمة، الذي بلغها إلى الشيخ عمر بن الحسن، وعلمت فيما بعد برسالة منه إلي انه قرأها على الأمير سعود". (26) وهذه الرسالة كان من مبادئها وأصولها الدعوة إلى إصلاح ما بدأ يظهر في البلاد العربية، ولاسيما في جزيرة العرب، من فساد. يقول: "لقد لاحظت في إقامتي الطويلة في الحجاز ــــ في تجربة دارس للقرآن ونهم بالتاريخ ــــ المرحلة الانتقالية التي هي من أدقّ مراحل الشعوب والبلاد ، وكيف بدأ البلد يحذو حذو البلد النامي الذي تشيع فيه الرفاهية والرخاء، وتتغير أوضاعه بسرعة، ويقفو أثر بلاد مصر والشام والعراق التي تتزعم التحرر والانطلاق، ويقلد البلدان الغربية التي لا وازع لها من خلق ولا دين، وكل ذلك إنما هو نتيجة تخلي هذه البلاد عن تلك الدعوة والحركة التي قامت لإصلاح العقيدة وإشعال العاطفة الدينية، فتحقق بفضلها ما لم يكن يتصور، وأصبح بها المستحيل ممكنا، فقامت دولة تستطيع ــــ إذا أراد الله ــــ أن تعيد التاريخ على أعقابه، وتحقق من تكوين المجتمع الإسلامي المثالي ما كان يحلم به المعنيون بالإسلام، والذي هو من أشد حاجات العصر). (27)

وهكذا نجد أبا الحسن دائما يبشر ولا ينفر، ويُطمعُ من يتحدث إليه من الحكام في أن يضطلع بمهمة إعادة مجد الإسلام. ولكن هذا لا يمنعه من أن يحذر من مغبة الانزلاق إلى الشهوات، والانحراف عن منهج الله تعالى، والركون إلى الترف والإسراف، والجحود بنعمة الله، فإن ذلك من أهم أسباب زوال النعم، وإحلال النقم. يقول متمما كلامه عن أرض الحجاز: " ولكنها منيت ــــ على مرّ الأيام ــــ بمشاكل ومحن، تمنى بها الحكومات الناشئة، من ضعف الدعوة والحسبة الدينية، وفقد القدوة الصالحة، وسيطرة الدوافع الاقتصادية والاستغلالية على الجهاز الإداري، وما قدر الله أخيرا من التضخم المالي، والعثور على منابع الثروة وأسباب الرخاء، فكانت تلك نتائج طبيعية منطقية نفسية، يقررها القرآن في إيجازه وإعجازه، ويشهد به تاريخ الحكومات والمجتمعات في حدوده وأسلوبه". (28)

لعله يتبادر إلى الذهن أن هذه النصائح التي كان الشيخ يقدمها إلى حكام الحجاز، وينتقد من خلالها مظاهر التغريب والانحراف التي بدأت تفرض سلطانها على تلك البلاد ، قد تجعله مائلا في مواقفه السياسية إلى خصومها، مثل ما حدث لغيره، عندما وقعت كارثة

احتلال الجيش العراقي للكويت. فقد سارعت جهات عدة، حكومية وغير حكومية، إلى مساندة حاكم العراق آنذاك، وكان من بين هذه الجهات منظمة التحرير الفلسطينية، وكذلك كان شأن بعض الحركات والشخصيات الإسلامية (29)، وزلت الأقدام مرة أخرى، وزاغت الأفهام، ولكن الشيخ أبا الحسن وقف موقف الحكيم، مستنكرا ما سيجره ذلك الموقف الأثيم على الأمة من الهزائم والمصائب المنكرة. فقد اعتبر الغزو العراقي للكويت مأساة، "نكس رأس الملة الإسلامية بكاملها" (30)، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يصور ما آلت إليه الأمور في دول الخليج من انهيار في الأخلاق، وانغماس في حياة الترف، حيث أشار إلى حياة الترف والبذخ، ودعا إلى هجرها. (31). وفيما يلي بعض مما كتب في سيرته عن ذلك الحادث الأليم : "وقصرت في المقال الذي قدمته في هذا المؤتمر على الإشارة إلى هذا الغزو اللاديني واللاخلقي واللامبدئي، الذي جاء في غير أوانه، وفي غير مكانه، وبدون أي مبرر له، والذي يتنافى مع الضمير الإنساني ، ومبادئ الأخلاق العامة، والقوانين الدولية ، فضلا عن التعاليم الإسلامية السامية النبيلة ، وأكدت بالإضافة إلى ذلك على ضرورة إيقاظ الوعي الديني ، وإنشاء الحركات الإصلاحية ، وأشرت إلى حياة البذخ والترف ، ودعوت إلى هجرها."

وأضاف قائلا: " ولم يكن يناسب لي في هذا الوقت القصير، وفي هذا الجو الذي يسوده الحزن والكآبة، وفي هذا البلد الذي يملأ أرجاءه القلق والاضطراب ــــ أن أتعرض لنقد المجتمع الذي يوجد فيه العالم العربي والإسلامي ، ولاسيما المملكة العربية السعودية، من الناحية الدينية والخلقية ، والحديث عن الواقع بالتفصيل والصراحة ، أو أشير إلى مواطن الضعف في الحياة لهذه الدول العربية الإسلامية ، لأنه يزيد العالم العربي ألما ، ويكون بمثابة إثارة جرحه وآلامه ، ويبرر للمعتدي اعتداءه ، وللمؤيدين تأييدهم ، وقد كنت جربت ذلك في بلادي". (32)

هكذا إذن يتبين كيف أن الشيخ أبا الحسن الندوي كان في قلب الأحداث السياسية، يعيشها، ويسهم في توجيهها، ويدعو إلى ما يصلحها، ويعين الذي يريد الإصلاح على ما

يريد، ويحذر من مغبة الفساد والانحراف، وتلك هي مهمة الداعية المحتكم إلى الوسطية، والمتصف بالحكمة. (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) "البقرة: 269".

خاتمة:

تتعدد مناهج الحركات الدعوية، وتتباين طرق إصلاح المصلحين، إلا أنه لا يماري أحد من أهل الحق والخير في أن الوسطية هي الطريق اللاحب، وهي المنهج الواضح الذي يعبر أصدق تعبير عن روح الإسلام.

ولكننا عند التطبيق العملي قد نجد بعضا من التباين بين الدعاة أو الحركات. وعلى الرغم من الإقرار بشمولية الإسلام، إلا أن هنالك من قد يغلب جانبا على جانب، كأن يغلب الجانب الفكري التنظيري على الجانب العملي التطبيقي، فنجد مثلا تضخما في الأنشطة العامة، وضمورا في الجانب التعبدي، أو نجد عناية فائقة في السمت، وتساهلا في الروح، فقد يحدثك المرء باستفاضة عن مقومات الفكر الإسلامي، ثم تراه ينجر في سلوكه إلى ما ينافي روح الإسلامي، كالوقوع في الغيبة أو النميمة، وهو لا يكاد يرى أن ذلك شيء جلل.

وبعض الحركات الإسلامية تقصر عملها على التربية الروحية، وترى العناية بالجانب الفكري أو السياسي من فضول الاهتمامات، وأخرى ترى الإسلام كله في الخدمات الاجتماعية لا تتعداها. صحيح أن هنالك من يرى ـــ عن حق ـــ أن الشمولية لم تتأت إلا للجيل الأول من الصحابة، وأن الشمولية اليوم لا تتحقق إلا من خلال أعمال كل العاملين للإسلام، إذ هذا يعنى بالروح، وذاك يعنى بالفكر، والثالث يعنى بالجمال..وهكذا يكمل بعضنا بعضا.. ولكن بعضا ممن آتاهم الله الحكمة عرفوا كيف يتحققون بتلك الشمولية، مع الاحتكام إلى الوسطية في كل جانب من جوانب حياتهم، ولعل هذا ما سعينا إلى تبينه من خلال شخصية الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى، بالوقوف على العناصر الستة التي مثلنا بها على هذا الأمر، وعسى أن يكون قد تحقق بعض مما التمسناه غاية، والله الموفق للصواب.

هوامش:

---

(1) الرسالة المحمدية، للسيد سليمان الندوي، دار القلم، دمشق، 2005، ص.240

(2) ذلك أمر شهدته بنفسي، على مدى السنوات التي عرفت فيها الشيخ الندوي رحمه الله. فقد كنا نلتقي، في مؤتمرات رابطة الأدب الإسلامي، في تركيا والمدينة المنورة ومصر وغيرها، وكنت أنا أمين الرابطة العام، فكان يؤثر الزهد والتواضع ومرافقة المساكين. وأذكر أنه في المدينة المنورة كنا نترل في فندق من فنادقها، وكان هو يؤثر مرافقة فقراء الهند في مساكنهم، فإذا كان وقت الاجتماع التحق بنا. ورغم أنه كان يترل ضيفا على رجل اسمه محمد نور عبد الغني نور ولي، وذكره في مسيرة الحياة(393/1)، وقال عنه: (مضيفنا القديم)، وكان الرجل صاحب فندق، إلا أن الشيخ أبا الحسن كان يفضل مساكن أهل الهند المتواضعة. فكان بذلك يحقق ما يريد من العيش في تواضع، ويمكّن أولئك الذين يترل ضيفا عليهم من الاستفادة من علمه وعمله، إذ العلم عنده مقترن بالعلم، امتثالا لقوله تعالى: (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين يعلمون،إنما يتذكر أولو الألباب) "الزمر:9"، فالعلماء حقا هم الذين يتوجهون إلى الله عز وجل في جوف الليل بالتضرع والقيام.

(3) مما روى لي بعض من لا أتهم ان الشيخ أبا الحسن كان مدعوا في بيت من بيوت بعض الوجهاء، فقُــدّم للضيوف من أصناف الطعام ما لذ وطاب. ولكن الشيخ الحكيم التفت إلى أمر ذي أهمة قصوى، وهو الوقت الذي تقضيه النساء في إعداد تلك الموائد، فالتفت بأدب جم إلى المضيّف وقال: " متى تذكر نساؤكم الله تعالى؟"

(4) أبو الحسن الندوي، الداعية الحكيم، والمربي الجليل:دار القلم، دمشق، ، 2001 ، ص.19

(5) ربانية لا رهبانية، طبعة دار القلم بدمشق، ص.26، ضمن سلسلة كتب قيمة، رقم 37، وقد نقل النص د.محمد اجتباء الندوي في كتابه السالف الذكر، ص.120

(6) د.محمد اجتباء الندوي، مرجع مذكور، ص.12 ــ 13

(7) كان رحمه الله يكرر على مسامعنا: (إن الشيء من معدنه لا يستغرب)، وكذلك نحن لا نستغرب موقف شيخنا رحمه الله، لأنه جاء من معدنه.

(8) يراجع الفصل الرابع من كتاب أبي الحسن : (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين).

(9) تنظر رسالة (إلى الإسلام من جديد:186 ــ 187) وكتاب د.اجتباء الندوي الآنف الآذكر.

(10) في مسيرة الحياة:81/2

(11) مقدمة كتاب (المسلمون في الهند)، ومختارات من أدب العرب، ص 6، عن كتاب د.اجتباء الندوي الآنف الذكر، ص 146 ــ 147

(12) روائع إقبال، طبعة دار القلم، دمشق.ص 9، وأورده أكثر من واحد ممن ترجم لإقبال.

(13) مسيرة حياة: 2 \ 159. وهذا الذي أشار إليه أبو الحسن، من تجاوز الأدباء مرحلة التحرر من الدين إلى مرحلة معارضة الدين، قد نظّر له بعض الأدباء الغربيين، ومنهم الوجودي ألبير كامي Albert Camus من أنه يجب الانتقال من (اللادين) non-religion إلى مرحلة (مناهضة الدين) anti-religion.وقد طبق ذلك بعض أدباء العالم الإسلامي، دون حاجة إلى تنظير.

(14) نفسه:167

(15) بيت لإقبال، أورده الشيخ ابو الحسن في آخر كلمته المشار إليها.

(16) في مسيرة حياة: 3 \ 131

(17) في مسيرة حياة: 2 \ 79 ــ 80

(18) نشرت الخبر جريدة (الرائد) في أحد أعدادها، في ثمانينيات القرن الماضي، وذكرت أن من أسباب إسلامهم أن سماحة الشيخ شرب من الإناء نفسه الذي شرب منه بعض المنبوذين، وهو ما لم يعهدوه من الطبقات الأخرى.

(19) إلى الإسلام من جديد:186 ــ 187. (نقلا عن د.اجتباء الندوي، مرجع مذكور،127)

(20) في عام 1994م عقد في مدينة وجدة بالمغرب الملتقى الدولي الأول للأدب الإسلامي، وقد سلمني الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى عددا من الرسائل اللطيفة، وطلب مني تقديمها إلى الملك الحسن الثاني رحمه الله، وكان قد التقاه من قبل أكثر من مرة، ولكنه كان في كل مرة، كما صنع مع كثير من الزعماء، لا ييأس من تذكيرهم بما ينتظرهم من مسؤوليات تجاه أمتهم. وفي كتابه: (أسبوعان في المغرب الأقصى)، ذكر أنه في رحلته التي كانت في عام 1976، التقى الملك الحسن الثاني الذي أقام على شرفه والوفد المرافق له مأدبة ملكية في مراكش، فألقى سماحة الشيخ كلمة، كان مما قال فيها: " إنني أسعد بتبليغ رسالة إليكم عن العالم الإسلامي، أراها أمانة في عنقي ومسؤولية على عاتقي، وهي أن المسلمين اليوم في مشارق الأرض ومغاربها ينتظرون بفارغ الصبر أن يطلع من أفق العالم الإسلامي نجم جديد، يعلقون به آمالهم، إنهم يعيشون وضعا مرديا عصيبا عجيبا، يحتاجون فيه إلى قائد عصامي، مؤمن ألمعي، يمتاز بإخلاصه ويقينه، وعزمه الراسخ وقلبه الواثق، وقد صور القرآن هذا الوضع تصويرا بينا معجزا فقال: (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا الا ملجأ من الله إلا إليه)"التوبة:118".

إن المسلمين يعيشون مثل هذا الوضع ولا يرون ملجأ من الله إلا إليه، وقد كان يطلع من أفق العالم الإسلامي في الماضي شخصية عملاقة عصامية، تحول مجرى التاريخ، لكن ذلك يحتاج إلى الإيمان والإخلاص، والشهامة والغيرة، وصدق الولاء والوفاء، وإنما ينهض بذلك من يريد أن يخدم الإسلام ويرضي ربه، ويقنع ضميره، ويؤدي مسؤوليته ساميا عن الأغراض السياسية والأغراض الشخصية، وكان الناس